نحكم أيضاً بأنه كان يؤثر فيها الألفاظ السهلة على غيرها ، وكذا السجع القصير الفواصل لما له من التأثير فى النفوس ، وما كان له فى ثقافته وعلمه وحكمته واشتغاله بهذه الدعوة العامة ، إلا أن يدع التكلف فى خطابته ، ويخاطب الناس بهذه السهولة التى يفهمونها ، وقد أنكر عليها بعض أدباء عصرنا هذه السهولة ، فحكم بأنها خطابة إسلامية مختلقة على قس ، وليست خطابة جاهلية ملائمة لما كان فى هذا العصر من بداوة وخشونة ، ولا يخفى أنه لا يمكن أن يستقل عصر من العصور بالتأثير فى خطبائه أو شعرائه ، وإلا وجب أن تتحد مسالكهم فيه ، وألا يختلفوا فى أساليبهم من حيث السهولة والشدة وغيرها ، وكم كان فى الاسلام من خطباء يؤثرون الشدة فى خطابتهم ، وخطباء يؤثرون فيها السهولة على الشدة ، فلا بدع فى أن يكون بجانب الشدة فى عصر الجاهلية تلك السهولة ، وأن تجتمع فيه كما اجتمعت فى غيره الرقة والخشونة .

عبد المتعال الصعيدى

عرس الورد

شذى الخزامى وريا النرجس العطر ... سرت بها نسمات الروض فى السحر
والفجر قاد جيوش النور منتصراً ... والليل أدبر لا يلوى على أثر
إلا بقايا نجوم وهى حائرة ... فى أفقها ورشاش من سنا القمر
سرى فأنعشني ريح الصبا سحراً ... فرحت أستعرض الماضى من الذكر

والذكريات كأسراب القطا كُثُرٌ ... لما تحوم على الغدران والنهر
والقلب كالطير قد أرداه صائده ... بين الضلوع خفوقاً خفق محتضر
أهيم والشوق يطويني وينشرني ... والدمع طافٍ بجفني غير منهمر
حتى مررت بروض شاق منظره ... قد أتقن الصنع فيه خلق مقتدر
لا الشعر وافٍ ولا التصوير يدركه ... وإن سمت ريشة الفنان فى الصور
هنا الغصون بأعطاف لها رقصت ... مثل الكواعب ذات الدل والحور
والعندليب يغنيها فيُسمعها ... أشجى النشيد بلا عود ولا وتر
والزهر فى مهرجان ريحه عبق ... ما بين منتظم زاهٍ ومنتثر
والحوض يبدو كمرآة قد انعكست ... فى وجهها صور الأفنان والثمر
أو خد عذراء لم يجذب بتطريبة ... اذا تدلت عليه خصلة الشعر

وقفت بالباب والأشواك تحرسه ... أسائل الطائر الشادى عن الخبر
فأومأت مورقات الدوح مخبرة ... تزوج الورد بنت السوسن النضر
فالورد فى حمرة الجلباب متشح ... أما العروس ففى بيض من الأزر
يحنو عليها وأحياناً يقبلها ... كما دنف آب للأحباب من سفر
كلاهما ليس يخشى عين مرتقب ... فى الحب او قول واش فى الهوى أشر
يداعبان ضياء الشمس فى شغف ... وظلمة الليل فى أنس وفى سمر
روحان قربت الأشواق بينهما ... على اقتراب من الريحان والزهر
والكل جذلان لا الأيام توحشه ... ولا تبدل صفو العيش بالكدر
ثم التفت الى نفسى وقد عصفت ... فيها الهموم وأذوت زهرة العمر
يبني وبين الليالى ما يكدرنى ... كأنني جئت ذنباً غير مغتفر
فقلت ياليتني فى الروض زنبقة ... أو بعض ورد ولم أخلق من البشر

دمشق عبد الجبار سرحان

لوعة الربيع

وقفتُ ولم أقصد على ضفة النهر ... وطرفى ممتدٌ إلى حيث لا أدرى !
وفى النفس مافيها ! عواطف جمّة ... يضيق بها صدرى ، ويعيابها فكرى
عواطف ، لا أدرى حقيقة أمرها ... ولكنها بين الكآبة والشعر !
أراقب سَيْر الموج ، والريح سجسجٌ ... تعابث وجه الماء ، وهو بها يزرى
ودجلة يجرى فى جلال وروعةٍ ... وعزم كعزم الدهر ، كرّاً بلا فرّ
تظلّ عليه الشمس من خلف رفرفٍ ... على الضفة الأخرى من النخل والسِّدر
فينساب ، لا يلوى على ما وراءه ... كأن به شيئاً من التيه والكبر
يجرُّ على الشطّين فضل غلالةٍ ... من الموج ، كالأملاك فى غابر الدهر
رزين ، قوىّ ، يملأ النفس هيبة ... وقور ، فسيح الصدر ، متزن السير
تخيّل لى — والماء ينساب جارياً ... كأن حياة بين أثنائه تجرى
ولو كان ذا روح ، لعمرك — لم يكن ... بأهيب منه وهو يجرى ، ولا يدرى !
فرُكّت وجهى ، ساكنَ النفس صامتاً ... سوى خفقان خافت الجرس فى صدرى
فما هاجنى إلا جلالة موكبٍ ... تسير به شمس الأصيل الى الخدر
وقد برزت فى حلة من شعاعها ... مذهبةٍ ، فى منظر فاتن مغرى
ومن خلفها ، يحملن فضل ازارها ... جوار من السحب المنوّرة الأزر

ودرتُ بعيني حول نفسي فلم أجد ... سوى كلّ ما عند الطبيعة من سحر
فذي الأرض كيف ازّينت وتجملت ... بثوب من الأعشاب رصّع بالزهر
وهذا النسيم الرطب، نشوان فارح ... بما نال عند الزهر من عاطر الذكر
وهاتيك أرواح تجوّلُ في الفضا ... محسوسة التأثير، مجهولة الأمر
لعمرك ما أدري ! أأرواح جنّة
ترفرف، أم روح الربيع انبرت تسري
أم السحر هذا، أم خيالات شاعر ... سبت لبّه أشباح آلهة الشعر
وذانك عصفوران من خلف دجلة ... يطيران في جوّ من الحب والطهر
وتلك حمامات ينحن نواديا ... يساجلن فوق الدوح صادحة القمر
وكلٌّ بتمجيد الطبيعة هاتفٌ ... مُهنّ بميلاد الربيع ابنها البكر
بدت تعلن البشرى بشتّى لغاتها
فذا الطير بالنجوى، وذا الزهر بالنشر
وتلمح حتى للجماد بشاشة ... ووجهاً ودوداً يستميلك كالسحر !
حياة لعمري لامست كل ميت ... تحسّ بها نفسي، وينكرها فكري!
فما لك يا قلبي كأنك نائم ... تساورك الأحلام غامضة السر ؟
لئن كنت في ليل الطبيعة راقداً ... شتاءً، فأنت اليوم في غرة الفجر

* * *

حنانيك هذا يومك المرتجى فقم ... وبا كر لذاذات الهوى الطامح العذري
حرام علينا أن يمرّ بنا سدى ... ولم نقض منه مأرب الشاعر الحر
فجارِ الملا إن كنت منهم ومثلهم
وطرْ في الفضا ان كنت من زمرة الطير
ونُح بالأسى إن كنت أسوان يائساً ... وبح بالهوى إن كنت صبا أخا ضرّ
وفيم الأسى واليأس — والكل منقض ؟
وأنت لدى عيدين جاءا على الأثر
فهذا ربيع للطبيعة ناضرٌ ... جميل المحيا، زاهر، باسم الثغر
وهذا ربيع للشباب محببٌ ... بأحلامه، حلو المني، ناعم البشر
وما العمر الا مدة ثم تنقضي ... كلم، بما فيها من الخير والشر
لقد فاتني ما قد خلقت لأجله ... وأدركني ما يرتجى نيله غيري
فما طعم عيشي ؟ لاشقاء ولاهنا ... ولا يأسة تقضي ولا أمل يغري !
حنانيك فامرح في الضلال أو الهدى
وهبتك ما تهوى فما لك من عذر
وخذ قسطك الأوفى من الأرض والسما
من الرّوح والريحان والنور والنّور

العراق — العمارة — عبد الحي فاضل الصيدلي

من الأدب الهندي

البغـــاء

لشاعر الهند الأكبر طاغور

ترجمة الأستاذ مصطفى كامل المحامي

كتب طاغور هذه القصيدة التي نترجمها اليوم منذ بضع سنين في بنغال تحت عنوان «البغاء» وقد فهم بعض الناس في الهند عند قراءتها أنها رمز لاذع عن النظام المدرسي المدخل بالهند، ثم انتشرت هذه القصيدة في بلاد أخرى من آسيا فقال الناس «من الممكن أن الشاعر قد أراد بشعره أن يشير الى النظام الذي أدخل في بلادنا» ورأى آخرون أن غرض النظام الذي أدخله الأوربيون في آسيا هو الحصول على النتائج التي نجحت مع البغاء؛ وتصايح بعض الأوربيين «أرأيتم الام يؤدي الأمر اذا أردنا أن نمثل التعليم العالي في شعب لايفهم شيئاً من مبادئنا التعليمية العالية» ثم يديرون رؤوسهم والرضى ملء نفوسهم، وقليل ما هم الذين أدركوا أن بغاءهم أيضا ينحدر إلى الموت في نفس الوقت.

— ١ —

كان عصفوراً شديد الجهالة يهزج كل يوم، يقفز ويطير من هنا وهناك، دون أن يعنى بالعلم أو حسن السلوك.

فقال الملك يوماً لا يصلح هذا العصفور لشيء، وهو يحدث مع ذلك اضرار جمة، فيتلف ثمار الحديقة الملكية؛ واستدعى في الحال وزيراً وأمره أن يُعلم العصفور أحسن التعليم.

— ٢ —

كلف ابن أخي الوزير بتعليم العصفور، فعقد العالمون أولاً مجلسهم، ثم تباحثوا وتجادلوا دون انقطاع، في الأسباب الحقيقية لجهل العصفور؛ وقرروا أخيراً أن عش الطائر المصنوع من الخشب، شديد الضيق فلن يسع العلم العريض، ورأوا قبل كل شيء أن يصنع له قفص جميل.

— ٣ —

استدعوا صائغاً ليصنع قفصاً من ذهب، فجاء آية فنية مثيراً للاعجاب، حتى بادر الناس من كل فج لرؤيته وقالوا: «سيتلقى العصفور أخيراً تعليماً حسناً»؛ وصرح آخرون: «حتى ولو لم ينل أحسن التعليم، فانه الحظ أن يكون له قفص جميل! ما أسعد حظ هذا العصفور! ورجع الصائغ سعيداً ملء اليدين من حسن

الجزاء ، وابتدأ الأستاذ درسه بعد أن جذب نفساً من غليونه ، وقال لابد لي من مكتبة . فدعا ابن أخي الملك نساخي البلاد ، فنسخوا ونقلوا الكتب حتى تجمع منها الكثير ، فقال كل من رأى هذه الأسفار:

« مرحى سيكون له الآن من المعرفة قدر وفير » ، ورجع النساخون بجوائز طردت عنهم إلى الأبد شر الفاقة .

وبذل الوزير لهذا القفص الثمين من ضروب العناية ماليس له حدود ، حتى جهر الناس جميعاً وقالوا : سيتقدم التعليم بكل هذى الجهود ، وتوفر على العناية بهذا القفص كثيرون ، ولرقابة هؤلاء توفر نفر أكثر ، وفازوا جميعاً بأسنى الهبات والعطايا .

— ٤ —

تنقص الدنيا أشياء كثيرة ، إلا أن الساخطين لا ينقصهم أن يهمسوا ، « إن القفص معنى به كل العناية ، لكن العصفور على مايظهر مهمل » ؟ وبلغ الهمس آذان المليك .

فاستدعى الوزير واستخبره معنى هذا الهمس ، فقال الوزير :

« يامولاى ، إذا أردتم معرفة كل الحقيقة ، فاستدعوا المعلمين والنساخين والصائغ والرقباء على القفص ومراقبي الرقباء وقد قال الساخطون ماقالوا ، لأنهم يتضورون من الجوع » ، فاقتنع الملك وجزى الوزير ، فاهدى سلسلة من الذهب اليه .

— ٥ —

وتاق الملك يوماً الى معرفة نجاح العصفور ، فتوجه الى المدرسة فى حفل من الوزراء والأصدقاء والندامى ، وأذاعوا زيارة الملك فى الأنواق ، ودقت النواقيس المعلقة فوق المدرسة ، وأخذ العلماء يرتلون الأجزاء المقدسة ، وهتف البناؤون والعمال والنساخ والصائغ فى صوت واحد « ليحيى الملك » .

وقال الوزير « مولاى ! انظر ! »

فأجاب الملك « مدهش ! ولكن ما هذه الضوضاء ؟ »

فقال الوزير : ليست هذه ضوضاء فحسب ، فان وراءها معنى خبيثاً ؛ وطرب الملك كثيراً وجاز الدهليز ، وحين أراد امتطاء الفيل خرج الناقد من مخبئه خلف شجيرة وقال بخبث : « هل رأيت العصفور يا مولاى ؟ »

فأجفل الملك وقال : « لم أر العصفور حقاً » وكر راجعا مع الأساتذة وهو يقول : « أريد أن أعرف الطريقة التى اتبعتموها فى تعليم العصفور ، فلما رآها الملك وجدها بديعة ، ولم يلاحظ نقصاً فى شىء ، كما أن الأوامر كلها مرعية ، ما كان فى القفص ماء ولا حب ، وإنما كان يحشى فم العصفور بأوراق الكتب ، فلم يعد قادراً على التغريد ، إذ لم تبق أدنى فرجة يخرج الصوت منها ؛ وما كان أبشع المنظر ! وقبل أن يمتطى الملك الفيل أمر بالناقد فلكمه جنده .

— ٦ —

وغدا العصفور دقيقاً رقيقاً على مر الزمن حتى بدا كاليت ، لكن الحراس ظنوا أنه مازال هناك أمل ، والتفت العصفور نحو الضوء فى الصباح ، ورفرف بالنريزة على حائط القفص بجناحيه ، وحاول أن يقطع أسلاك القفص الذهبية بمنقاره الواهن ، فصاح الحارس : « أى حمق ! » وأسرع فأحضر الحداد فصنع أسلاكا من الحديد ، ثم قصوا جناحى الطائر .

وقال أصدقاء الملك وهم يهزون الرءوس : « ليست طيور هذه المملكة جاهلة فحسب ، وإنما تجمع إلى الجهل نكران الجميل » ، وعاود المعلمون واجبهم باليقين الراسخ ، ورجع الحداد قريراً بالعطاء الجزيل ، والحارس القانع بالراتب المبذول جزاء انتباهه

— ٧ —

وقضى العصفور ، ولم يعرف أحد متى مات ، واذاع الناس قالة السوء ، واستدعى الملك ابن أخيه يسأله عما حل بالعصفور :

— إن تعليمه قد تم يامولاى

— الا يقفز الآن ؟

— كلا !

— أما يزال يطير ؟

— كلا !

— أيغني ؟

— كلا !

— فماذا يفعل إذا جاع ؟

— لا شئ

— أحضره إلى فانى أريد أن أراه

وأحضروه إلى الملك فلمسه وضغطه دون أن يُظهر الطائر علامة على الحياة الا حفيف الورق الذى حشوا به معدته ، على حين اهتزت أوراق الشجر وقد مرت بها نسمة من نسمات الربيع !

« طاغور »